الدور الاستراتيجي لحزب الله في المشروع القومي الإيراني في منطقة الشرق الأوسط

The Strategic Role of Hezbollah in the Iranian Regional Project in the Middle East.

محي الدين حداد[1]، جامعة سطيف2
Haddadsar01@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2018/12/03 **تاريخ القبول: 2019/01/03**

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل وتفكيك طبيعة الدور الاستراتيجي لحزب الله اللبناني كفاعل تحت دولاتي في المشروع القومي الإيراني في منطقة الشرق الأوسط بعد إنشائه في عام 1982 ، والذي أصبح مؤثرا بشكل جلي في القضايا الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط من خلال تعبئة قدراته الناعمة وتوضيح الآليات التي اعتمدها حزب الله من أجل تسويق المشروع القومي الإقليمي لإيران إلا أن الأزمات الناتجة عن الحراك العربي بداية من 2011 وضعت الإستراتيجية الناعمة لحزب الله محل انتقاد شديد من طرف الكثير من الداعمين له رسميا وشعبيا وهو ما أنعكس سلبا على المجهود السياسي والأمني لحزب الله في التعاطي مع المشروع الإيراني.

الكلمات المفتاحية: حزب الله اللبناني؛ الأمن الإقليمي ؛ المشروع القومي الإيراني ؛ الشرق الأوسط.

Abstract:

This study aims to analyze the strategic role of Hezbollah, as a non- state actor , in the Iranian national project in the Middle East after its inception in 1982, a role that has become clearly influential in the Middle East's regional issues through the mobilization of Hezbollah's soft capabilities. The study examines

---

(1)- المؤلف المراسل.

the mechanisms adopted by Hezbollah to legitimize the Iranian national project in the region. Then, it debates how the multiple crises resulted from the Arab Spring, since 2011, has put the soft strategy of Hezbollah under severe criticism by many of his, official as well as popular, supporters, and how such engagement has negatively affected the political and security effort of Hezbollah when it comes to the Iranian project in the region.

Keywords: Hezbollah; Regional Security; Iranian National Project; Middle East.

مقدمة:

لقد ساهمت سياقات متعددة في تأسيس حزب الله اللبناني وبلورة ظهوره في منطقة الشرق الأوسط، ومن ثمة لعبه دوراً مؤثراً في التفاعلات الإقليمية، بالنظر لما يملكه من مقومات التأثير والنفوذ، ساعده في ذلك، الدعم الخاص الذي يحظى به من بعض القوى الإقليمية خاصة من طرف المحور الإيراني – السوري، خاصة وأنّ الحزب أصبح ركيزة أساسيةً في المشروع القومي الإيراني، لما يمتلكه من مقومات ناعمة جعلته يخترق ويصل إلى عمق المنطقة العربية بسبب مواقفه الرافضة إلى التدخل الخارجي الأمريكي - الإسرائيلي هذا من جهة، وتبنيه خيار المقاومة كبديلاً استراتجياً في مواجهة التهديد الإسرائيلي من جهة أخرى.

وهناك من يُرجع سبب قوة حزب الله اللبناني إلى تضافر توليفة من العوامل السياسية والأمنية والاجتماعية والثقافية تحت غطاء القوة الناعمة، مكنته من أن يؤثر في القضايا الأساسية في منطقة الشرق الأوسط، ويُصبح معادلة صعبة في إعاقة استراتيجيات القوى الدولية والإقليمية المتنافسة في الشرق الأوسط. فهذا المركب الأمني الإقليمي الذي يعاني أزمات مزمنة متعددة الإشكال وعلى جميع الصعد والتي أثرت بشكل كبير على أمن واستقرار المنطقة، عندما أصبحت تمس مباشرة هوية الدولة وتماسكها السياسي والاجتماعي، خاصة مع استفحال ظاهرة الصراعات العرقية والطائفية التفكيكية، نتيجة لتراجع فرض سلطة الدولة على إقليمها وبروز ما يسمى "بدولة اللامجتمع"، بسبب التدخلات والاختراقات الخارجية التي هيئت الظروف بالانتقال من صراعات

تقليدية إلى صراعات جديدة داخل الدولة الواحدة مهددة بذلك تماسكها السياسي - الأمني ونسيجها الاجتماعي وهوياتها الثقافية .

ولعل دور حزب الله اللبناني في المنطقة هو من باب تفعيل دور الفاعلين العنيفين من غير الدول، والذي يتميز بالمرونة الشديدة وقدراته التأثيرية في المنطقة، كما له مُعامِلات التكيف مع التطورات الإقليمية والدولية، وقدرته على مسايرة الديناميكية الاختراقية التي أثرت على الحركات الاجتماعية والدينية في الشرق الأوسط، في محاولة لبناء نظام أمني إقليمي فرعي يضم شبكة تتوزع في شكل جماعات وطوائف مرجعيتها الأساسية هي عقيدة الثورة الإسلامية الإيرانية، فشكلت هذه التقاطعات الجيواستراتيجية في المنطقة بين حزب الله وإيران محوراً مهما في سياقات ومسارات التفاعلات القائمة في المنطقة.

وللإجابة على هذه التساؤلات، قسمت الورقة البحثية وفق الخطة الآتية:

أولا: حزب الله اللبناني: النشأة والمرجعية الفكرية والدينية.

ثانيا: المرتكزات الإستراتيجية لحزب الله اللبناني في تعزيز المشروع الإيراني في الشرق الأوسط .

ثالثا: انعكاسات الأزمة/ الحرب السورية 2011 على دور حزب الله في المشروع الإقليمي الإيراني.

أولا: حزب الله اللبناني: النشأة والمرجعية الفكرية والدينية.

1ـ نشأة حزب الله اللبناني.

يعتبر حزب الله اللبناني أو" المقاومة الإسلامية " في لبنان من أبرز الفاعلين العنيفين من غير الدول في منطقة الشرق الأوسط، وقد أسهمت البيئتين المحلية والإقليمية في تأسيس حزب الله اللبناني، فعلى مستوى البيئة المحلية، التفت الطائفة الشيعية التي كانت تعاني من الاضطهاد والتهميش حول المرجعية العقائدية والفكرية الشيعية التي أحياها الشيخ محمد حسين فضل الله من خلال نشاطه العلمي في جنوب لبنان(جلال عواد، 2014، 14).

أما على المستوى الإقليمي، فقد أسهم الدور الإيراني بشكل كبير بعد نجاح الثورة الإسلامية الإيرانية 1979 بقيادة الخميني، أين عملت إيران على دعم الحركة الشيعية في المنطقة وبخاصة في لبنان، من خلال مبدأ "تصدير الثورة "، حيث تم تأسيس حزب الله من عناصر كانوا تابعين لحركة "أمل"، أبرزهم على الإطلاق المسئول عن مكتب حركة أمل في إيران في ذلك الوقت السيد إبراهيم أمين السيد الذي أصبح لاحقاً أحد القادة البارزين في حزب الله، بالإضافة إلى غيرهم من الشيعة ممن ارتضوا أن يكونوا الولي الفقيه مرجعه وقائده، وقد أخذت إيران تنسق على الساحة اللبنانية مع حزب الله "ورجال الدين العاملين وبعض المؤسسات الأخرى، مثل "أسرة التآخي" التي يرعاها الشيخ محمد حسين فضل الله. (حشيشو، 1998، 32).

على مستوى آخر، يحاجج يوسف الغدا Joseph Alagha الخبير في ملف حزب الله اللبناني على أنّه ظهر في سياق الجهاد الإسلامي عام 1978 في ظل حركة الاحتجاج الاجتماعي والسياسي ضد الغزو الإسرائيلي للبنان واختفاء الإمام موسى الصدر(Alagha,2011,19)، وهذا الرأي لا يعني إضفاء الطابع الرسمي لحزب الله إلى غاية الثمانينات (2015,14Shalabi)، ويرجع بعض الخبراء أنَّ جذور حزب الله تمتد إلى أعماق العمل السري الإيراني في عقد الخمسينات من القرن العشرين، وتعد أرض العراق المنبت الأصلي لهذا الحزب ذي التوجهات العقائدية الشيعية عندما أُسِس "حزب الدعوة" في العراق في صيف عام 1959 على يد محمد باقر الصدر (المدني، 1999، 133).

وفي ظل هذه التحولات التي عرفتها الطائفة الشيعية في المنطقة، كان اجتماع عام 1969 والذي ضم العديد من أقطاب شيعة العراق ولبنان وإيران في مدينة النجف العراقية، تم خلاله وضع الأطر التنظيمية السرية والتوجهات الأساسية تحت مضلة المرجعية الدينية الإيرانية، وتمخض عنه وضع الأساس التنظيمي والأيدلوجي لحزب الله كفكرة وهدف، لكن دون الإعلان عنه وإشهاره ودون تحديد اسمه على أن يتم ذلك بعد عودة الزعماء الشيعة اللبنانيين المشاركين في هذا الاجتماع إلى لبنان (أنور مالك وآخرون، 2015، 41-

42)، واستكمالاً لهذا المشروع الجديد قام كل من محمد حسين فضل ومحمد مهدي شمس الدين لاستقطاب شيعة لبنان الذين كانوا يعيشون حالة من التهميش السياسي والاجتماعي، وتوجيههم نحو التكتل والعمل السياسي التنظيمي من أجل توحيد الشيعة اللبنانيين، فأسس بذلك المجدد الشيعي موسى الصدر "حركة المحرومين"عام 1973 باسم شيعة لبنان(أنور مالك وآخرون، 43)، وقد استطاع بعدها من فرض توجهه الجديد على الدولة اللبنانية، فتم تأسيس "المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى" كتنظيم ديني- سياسي، والتي اعترفت به الدولة اللبنانية ككيان شرعي رسمي يمثل شيعة لبنان من النواحي المذهبية الدينية والاجتماعية والسياسية والعلمية (بلقيز، 2000، 44). ومن هنا تبلورت رؤية الإمام **موسى الصدر** أنّ مشروع الأمة والوطن يسمو على مشروع السلطة، مما جعله يطرح مشروعاً إحيائياً على الساحة اللبنانية، هو" أفواج المقاومة اللبنانية " والمعروفة اختصاراً " بحركة أمل "، التي أصبحت أول تنظيم عسكري وسياسي للشيعة اللبنانيين(أنور مالك وآخرون، 44).

وفي ظل البيئة السياسية والاجتماعية الجديدة في لبنان، جرت تحولات إستراتيجية في غاية الأهمية، ابتداءًا باختفاء موسى الصدر في ليبيا في شهر أوت 1978، وزيادة نفوذ النظام السوري في لبنان بعد الدخول العسكري إليها، وتحجيم دور الحركة الوطنية اللبنانية ومعها المقاومة الفلسطينية، ثم إخراجها فيما بعد من لبنان والاجتياح الإسرائيلي الأول للبنان عام 1978، تلاها نجاح الثورة الإسلامية الإيرانية بقيادة الخميني عام 1979، واعتماده على "مبدأ تصدير الثورة "وتوجهه نحو إيجاد مرتكز سياسي وجيو- عسكري تابع له على الساحة اللبنانية يساهم في تحقيق الأهداف التوسعية والهيمنة لإيران الجديدة في المنطقة العربية (أنور مالك وآخرون، 45)، وبالتالي تم تهيئ البيئة المحلية اللبنانية للتعبئة السياسية والاجتماعية الموجودة في شيعة لبنان، ومن أجل نشر نموذج الثورة الإسلامية وفرت إيران هياكل التعبئة اللازمة لإنشاء حزب الله، (Norton,1985,34- 35).

كما ساهمت المتغيرات الجيو- إستراتيجية التي عرفتها البيئة المحلية الإقليمية للبنان إلى حصول انشقاق في "حركة أمل" وفك الارتباك مع القوى المُقاومَة الأخرى بدعم من الحرس الثوري الإيراني(فيلق القدس)، والسعي نحو تأسيس وبلورة لتنظيم مشروع جديد يتماشى مع المصالح الإستراتيجية للنظام الإيراني في المنطقة، دون المساس بالمصالح السورية يحمل أيديولوجية تتقاطع مع الأهداف البراغماتية للسياسة الخارجية الإيرانية.

وتم الإعلان الرسمي عن تأسيس حزب الله اللبناني يوم16 فيفري 1985 من قبل مجموعة من رجال الدين في منطقة وادي البقاع (لبنان) كان أبرزهم: صبحي الطفيلي، عباس الموسوي، إبراهيم الأمين وحسن نصر الله، حيث قال الأمين العام الحالي للحزب حسن نصر الله: " إنَّ حزب الله ولد في ساحة المقاومة على خلاف نشأة كل الأحزاب، (نصر الله، دت، 123).

وقد شكل إعلان تأسيس الحزب بداية ظهوره العلني كتنظيم سياسي وشبه عسكري، فأعلن فيه عن وثيقة الحزب السياسية الأولي والرسمية باسم "الرسالة المفتوحة **Open Latter**"، والتي حملت مشروع المقاومة الإسلامية ضد الاحتلال الإسرائيلي للبنان والهيمنة الأمريكية، وأعلن فيه عن ولائه لولاية الفقيه في إيران كمرجع عام للشيعة في بقاع الأرض، (806-809Elhusseni,2010).

ومع تطور العلاقة بين إيران وحزب الله وتعمقها، أصبح الحزب فيما بعد أهم مرتكز جيوسياسي لمحور الممانعة- المقاومة- (إيران- سوريا – حزب الله- حركة حماس)، كما لعبت سوريا دوراً محورياً لاحقا – بعد اتفاق الطائف 1989- في تدريب حزب الله وتسهيل علاقاته مع قوات الحرس الثوري الإيراني، الذين اتخذوا من سوريا جسر عبور وخط إمداد إستراتيجي إلى لبنان، وقد جذبت الثورة الإيرانية الشيعة إلى لبنان لأنّها مكنت التيار الشيعي ورجال الدين والأئمة من الإمساك بمقاليد الحكم (Nizameddin,2008,480- 481)، وقد كان ارتباط حزب الله بإيران من زاويتين؛ فالأولى، هي الإيمان بنظرية الولي الفقيه، والثانية الدعم المادي

والمعنوي الذي يتلقاه من إيران، (William, 2006, 32- 33)، كما أنَّ رئيس الوزراء أيهود باراك قال في إحدى تصريحاته أنَّه " عندما دخلنا لبنان (كان يقصد بعد الاحتلال عام 1982).. لم يكن هناك حزب الله، فوجودنا هناك خلق حزب الله، (Norton, 2007 ,33).

وبعد تأسيس حزب الله اللبناني ورسم سياساته وتوجهاته المحلية والإقليمية وتوضيح إيديولوجيته من خلال مضمون الرسالة المفتوحة عام 1985، عرف تطورًا وانتشارًا واسعين على الساحة اللبنانية، كما حظي بتأييد واسع من طرف المجتمع اللبناني الذي ألتف حوله وسانده شعبياً باعتباره حامل لواء الدفاع عن مصالح الدولة والشعب اللبناني، ولعل ذلك يعتبر من أهمّ عناصر قوة الحزب الجماهيرية، (جرادات، 2010، 220)، وتَبنَي مشروع المقاومة كأحد "أهدافه الإستراتجية "، من خلال مقاومته الاحتلال الإسرائيلي التي اعتبرها من أولى الأولويات والخط الأحمر الذي لا يمكن تخطيه، (عماد، 2000، 175).

ومن أجل إرساء قواعده محليا قام بتأسيس شبكة واسعة من الأدوات السياسية والاجتماعية والأمنية والعسكرية والإنسانية، والتي أصبحت تمثل " قوة ناعمة " وعامل استقطاب مؤثرا في سياساته المحلية والإقليمية، كما عرف مساندة شعبية وحتى رسمية مكنته من بناء منظومة قوية / سرية ومتكاملة سياسياً وأمنياً وتنظيمياً، والتي أصبحت في ما بعد لها تأثيراً استراتيجياً على المسائل المحلية وحتى الإقليمية، فعلى مستوى الجبهة الإعلامية أسس حزب الله إذاعة النور في عام 1991، ومن ثمة قناة المنار الفضائية، (بلقيز، 52).

أمَّا من الناحية الإنسانية والخيرية فقد أنشأ شبكة من المؤسسات الخيرية التي قامت بأدوار اجتماعية مهمة لعل أبرزها، "مؤسسة الشهيد" و"مؤسسة الجرحى" و"مؤسسة الجهاد والبناء"، والتي كانت بمثابة قوة ناعمة في إستراتيجية حزب الله لتوفير بيئة مناسبة للعمل الجهادي وكسب التأييد الجماهيري المقاوم للإسرائيليين والتصدي للمشاريع الأمريكية في المنطقة، وتهيئة موطئ قدم لإيران للتدخل في المنطقة لتحقيق مصالحها وأهدافها القومية.

كما أنَّ مأسسة مشروع المقاومة عند حزب الله قد ساعده على لعب دوراً سياسياً وعسكرياً متنامياً في البيئة المحلية اللبنانية، بعد أن تحوّل الحزب من فاعل شبه عسكري(مليشية مسلحة) إلى حزب سياسي(انخراطه في النظام السياسي بداية من عام 1992) وإحكامه السيطرة على الكثير من القطاعات العامة كالخدمات الصحية والاجتماعية والثقافية، منافساً بذلك دور الدولة اللبنانية، ومكرساً سيطرته الفعلية على الحياة الاجتماعية. كما أنّه أصبح يتمتع بشرعية محلية وعربية نتيجة لمواقفه المناهضة للاحتلال الإسرائيلي والهيمنة الأمريكية على مقدرات الشرق الأوسط.

2ـ المرجعية الفكرية والدينية لحزب الله اللبناني

يرجع الكثير من المختصين والباحثين في شأن حزب الله اللبناني إلى ارتباطه عضويا ووظيفيا بالجمهورية الإسلامية الإيرانية ويلتزم بنفس الأيدلوجية العقائدية والمرجعية الفكرية والدينية، فهو لا يخرج عن دائرة التوجهات الإيرانية الإستراتيجية، وتعد مرجعية "ولاية الفقيه " مسألة مركزية في إيديولوجية حزب الله، وقد عبَّر عن ذلك الأمين العام الحالي السيد حسن نصر الله بقوله، " مشروعنا الذي لا خيار لنا أن نتبنى غيره كوننا مؤمنين عقائديين هو مشروع الدولة الإسلامية وحكم الإسلام، وأن يكون لبنان ليس جمهورية إسلامية واحدة، وإنما جزء من الجمهورية الإسلامية الكبرى التي يحكمها صاحب الزمان ونائبه بالحق الولي الفقيه الإمام الخميني"، (ضياء، 2017)، أي أنّ حزب الله هو حالة ما فوق وطنية، تأخذ مشروعيتها وتوجهاتها العامة من الولي الفقيه الذي يتجاوز حضوره الحدود الوطنيّة، كما أنّه يلغي حواجز الجغرافيا ويتجاوزها.

وتعتبر" الرسالة المفتوحة للمستضعفين "عام 1985 التي نشرها أولى المرجعيات الإيديولوجية الرسمية لحزب الله اللبناني، والتي تبرز وتعطي صورة واضحة في ظل سياقها الجيوسياسي المحلي والإقليمي وحتى الدولي، حيث جاء في البيان التأسيسي من نحن وما هي هويتنا؟، عرّف الحزب عن نفسه فقال: "... إنّنا أبناء أمّة حزب الله التي نصر الله طليعتها في إيران، وأسست من جديد نواة

دولـة الإسـلام المركـزيّة في العـالم... نلتـزم بـأوامر قيـادة واحـدة حكيمـة عادلـة تتمثّل بالولي الفقيه الجامع للشـرائط، وتتجسـد حاضـراً بالإمـام المسـدّد آيـة الله العظمى روح الله الموسوي الخميني دام ظلّه مفجّر ثورة المسلمين وباعـث نهضـتهم المجيـدة.."، وقـد عبّـر إبـراهيم الأمـين (قيـادي في الحـزب) عـن هـذا التوجّـه عـام 1987م فقال: "نحن لا نقول إنّنا جزء من إيران؛ نحن إيـران في لبنـان، ولبنـان في إيـران، (البـراك، 2013)، وبـذلك يعتـبر مرشـد الثـورة الإيرانيـة آيـة الله علـي خامنئي أكبر مرجعية دينية بالنسبة لحزب الله، (عبد العاطي، 2016).

إذاً، تُشـكِّل "ولايـة الفقيـه" مرجعـاً مـن المراجـع العــقائدية الراســخة في تكوين وتشكيل حزب الله ابـتداءً واستمرارًا، فهناك ارتبـاط عاطفي وعضوي بـالولي الفــقيه (الموسـوي، 2012، 187)، ويوضـح هـذا الارتبـاط العميـق بـين الـولي الفقيـه وحـزب الله مـا قالـه نعـيم قاسـم: " إنَّ كـون إيـران ملتزمـة بـأوامر الولي الفقيه قد سهل التقاطع بينها وبين رؤية حزب الله لقضايا المنطقة وأهدافه التحررية، (قاسـم، 2010، 89)، ومـن هـذه الزاويـة، فـإنّ حـزب الله تحكمـه ضـوابط عقائديـة وأيدلوجيـة مسـتمدة مـن ولايـة الفقيـه كمرجعيـة أساسـية لا يمكن للحـزب أن يخـرج عنهـا سياسـياً ودينيـاً وجهاديـاً، ممـا يـؤدي إلى إقصــاء كل من لا يخضع لسلطة ولاية الفقيه.

غـير أنّ هـذا التوافـق الكـبير في كـثير مـن الأحيـان يُفنـده قـادة حـزب الله ويعتـبرون أنَّ الـولاء إلى ولايـة الفقيـه يكــون إلاّ في القضـايا الكـبرى والمفصـلية المـؤثرة في حركـة الحـزب (قاسـم، 77)، وهـذا يشـير إلى أنَّ سياسـية المواءمـة والارتباط بالولي الفقيـه لا تلـغ إطلاقـاً انتمـاء حـزب الله للهويـة الوطنيـة اللبنانيـة (اللبننة).

وإنّ هـذا الترابـط الاستراتجــــي بالمرجعيـة الإيرانيـة ممثلـة في ولايـة الفــقيه يُؤكّـدها الأمـين العـام السـيد حسـن نصـر الله بقولـه: " في مسـيرتنا الإلهيـة نحـن قوم نؤدي تكليفنا الإلهي والشرعي، ويحدده لنا ولي الأمر في خطوطه الكـبيرة والعريضـة، وأحيانـاً في التفاصيل، ونحـن علينـا أن نـؤدي هـذا التكليـف الإلهـي الشـرعي، (بـاكير، 2006، 170)، وعليـه، فالفلسـفة الإيديولوجية/المرجعيـة

التي يرتكز عليها حزب الله تستمد مشروعيتها وسلطتها بالولاء إلى ما أقره الولي الفقيه في المسائل الإستراتجية وأحياناً في المسائل الجزئية، والتي يجب على حزب الله أن يرجع إليها ليستمد الموافقة القبلية قبل اتخاذ أي قرار سياسي أو عسكري.

واستطراداً، إنَّ ولاء وانتماء حزب الله للولي الفقيه أمر محسوم في المسائل الإستراتيجية بالنظر إلى التوافق الذي يظهر من خلال الخطابات الرسمية والسياسيات التي يتبعها حزب الله منذ تأسيسه محليا وإقليميا، وسعيه لإنشاء دولة إسلامية على غرار إيران، وأنَّ الفقيه هو القائد الديني والسياسي للأمة ويجب طاعته، وإنَّ هذه الطاعة تؤول إلى الولي الفقيه الذي يخلف الخميني، (Alagha, 25- 26). وتُعد ولاية الفقيه من الخصائص الأساسية التي تحكم العلاقة بين إيران وحزب الله مقارنة بالحركات الأخرى، ويقبل حزب الله بولاية الفقيه وقيادة الخميني قبولا كاملاً، بحيث تحوّل الخميني إلى مصدر للحاكمية في الحزب، (الموسوي وآخرون، 2014، 220).

وبما أنَّ أخذ رأي الولي الفقيه في العديد من المسائل المرتبطة باستراتيجيات الحزب هو أمر مُسَلمٌ به لإضفاء الشرعية على الفعل أو السلوك، إلاَّ أنَّ هذا الالتزام غير مطلق تماما، ولا يَحُدّ من دائرة العمل الداخلي في لبنان وبناء مختلف العلاقات، كما أنَّه لا يَحُد من دائرة العلاقات والتعاون الإقليمي والدولي مع أطراف يتقاطع الحزب معها في المصالح الإستراتيجية أو في بعض الموضوعات أحيانا، أي أنّ لحزب الله "هامش مناورة " يتحرك ويتفاعل من خلاله من أجل تحقيق مصالحه وتعزيز مكانته الداخلية والإقليمية، مع الأخذ بعين الاعتبار المصالح الإستراتيجية لإيران.وعلى سبيل المثال، فخلال العدون الاسرائيلي على لبنان(حزب الله) صيف العام 2006، اعتبر حزب الله أنَّ المقاومة الإسلامية في لبنان هي "صناعة لبنانية" بمطلقاتها وأساليبها، وهو تبرير صاغه وأكّده حسن نصر الله بقوله: " إنَّ حزب الله ليس دمية في يد إيران وسوريا، وأنَّ المقاومة هي صناعة لبنانية خالصة، ولكن في المقابل، اعتبر أنَّ

نتائــج هذه المنطلقات يتجاوز لبنان إلى سـاحات إقليمية مجاورة، وأنّ حزب الله مسروراً إذا ما استفادت سوريا وإيران من نتائجها.

وعليه فحزب الله في ظل هذه الإشكالية أو المفارقة بين حرصه على إعلان نفسه كمنظمة لبنانية محضة الانتماء والهوية (اللبننة) من جهة، وارتباطاته الإيديولوجية الخارجية بالولي الفقيه من جهة أخرى، جعله يتعرض لانتقادات شديدة من طرف خصومه سواء على الساحة اللبنانية أو حتى الإقليمين والدوليين، بينما يؤكد الحزب على أنّه منظمة لبنانية خالصة من حيث الأعضاء المنتسبون إليه أو توجهاته السياسية والأمنية، خاصة بعد التحول الاستراتجي بعد العام 1992عندما تراجع عن مسألة عدائه للدولة اللبنانية ودخوله في العملية السياسية .

وبالنتيجة، فقد لعبت الإيديولوجية (المرجعية الدينية) عاملاً محدداً في علاقة حزب الله بإيران إذ أسست لأرضية صلبة حيث أصبح من الصعب الفصل بينهما، ولعل هذا التوافــق الاستراتجي بين الطرفين في علاقة لا تماثلية (دولة/منظمة)، هو اعتماد حزب الله في بداية الأمر على "تسييس"الطائفة الشيعية في لبنان ثم "عسكرتها" كمرحلة ثانية، ووصولا إلى كسب تأييدها، حتى أصبحت تتحشّد وتدافع عن مشروع المقاومة، من خلال توظيف حزب الله المقدس (الدين) سياسيا بهدف اكتساب سلطة تبرر توجهاته وعلاقته مع إيران من أجل تقوية مشروعه.

ثانيا: المرتكزات الإستراتيجية لحزب الله اللبناني في تعزيز المشروع الإيراني في الشرق الأوسط .

كان لنجاح الثورة الإسلامية الإيرانية عام 1979 ثم تبنيها مبدأ " تصدير الثورة" إلى جوارها الجيوسياسي عاملاً مُهماً ساهم في تأسيس حزب الله اللبناني كفاعل عنيف من غير الدول، وقد أصبح فيما بعد أحد أهم مرتكزات العمق الاستراتيجي للمشروع الإقليمي الإيراني ومكونا أساسيا في محور المقاومة –إيران - سوريا - حزب الله - حركة حماس، حيث شكلت هذه التقاطعات البراغماتية والروابط الهوياتية / الإيديولوجية سياقاً هاماً في

الدفع قُدُماً للمشروع الإقليمي الإيراني في منطقة الشرق الأوسط، ويمكن تحديد أهم المرتكزات الإستراتيجية لحزب الله اللبناني في تعزيز المشروع الإيراني في الشرق الأوسط من خلال:

1ـ المرتكز الجيوبوليتكي:

يعتبر حزب الله اللبناني فاعلاً عنيفاً من غير الدول في الشرق الأوسط، وقد استطاع أن يُؤسس لامتدادات جيبوليتكية للإستراتيجية الإيرانية في المنطقة وذلك بالنظر إلى" **الهوية التشاركية** " التي يتقاسمها مع إيران، حيث يؤدي حزب الله اللبناني من خلال ارتباطاته الوثيقة بالغة التعقيد دور "**نخبة رأس الجسر**"، لأنّه يلعب دوراً هاماً للترويج للمشروع الإيراني الإقليمي وعامل مساعد في الكثير من الأحيان للدبلوماسية الإيرانية من خلال مواقفه/ سلوكاته التي تشيد بوقوف إيران إلى جانب الشعوب العربية – الإسلامية المضطهدة في مواجهة المشاريع الامبريالية الأمريكية والتهديدات الأمنية الإسرائيلية في المنطقة، وبذلك فالعلاقة بين حزب الله وإيران هي على شكل "**علاقة تراتبية**" وإيران هي الشريك الرئيسي، وهذه الشراكة الإستراتيجية أُنتجت وتطورت منذ 1980 عندما كان حزب الله مجرد "مليشيا " لإيران في لبنان.

كما أُستخدم حزب الله كعنصر دعم حيوي للتوجهات الإستراتجية الإيرانية مساهما بذلك في المشروع الجيبوليتكي الإيراني في إطار ما يسمى بالحدود "**الشفافة لإيران الكبرى**". وقد ارتكزت إستراتيجية حزب الله في لبنان على "**تسييس التشيع**" وتغيير الولاءات والتوجهات، وقد تم ذلك من خلال المناهج التعليمية والثقافية بالإضافة إلى زيادة البعثات العلمية/الثقافية إلى الحوزات العلمية الشيعية في كل من العراق وإيران تستهدف تحقيق "تكامل عقائدي ومذهبي"، سعيا منه تحقيق أهداف التوسع الإيراني الناعم في لبنان ومن ثمة نحو إقليم الشرق الأوسط ككل.

بالاستناد إلى التحليل السابق، يتشكل لنا إدراك واضح بأنَّ حزب الله يعد مرتكزاً استراتيجيًا لإيران وذراعها الأقوى في الشرق الأوسط، كما يحتل مكانة مركزيّة في الحسابات الإستراتجية الإيرانية، وقد أصبح الحزب من

أهمّ الخيارات الإستراتيجية للسياسة الخارجية الإيرانية وذلك بنفوذه الناعم وتأثيره القوي في المسائل السياسية والأمنية في منطقة الشرق الأوسط. كما تنظر إيران إلى حزب الله على أنهَّ عنصر مركزي في البناء الأمني والعسكري الإيراني، باعتباره متغيراً يوفر مزايا جيوبوليتكية نحو تأسيس قاعدة إيرانية متقدمة في جنوب لبنان للتصدي للتهديد الإسرائيلي ومحاولة بناء معادلة ردع جديدة بالقرب من (إسرائيل) في المستقبل.

وبذلك فحزب الله له أهمّية عمليّة وإستراتجية كبيرة في تعزيز النفوذ الإقليمي الإيراني في المنطقة جيوبوليتيكياً، إذ ساعد إيران على التأثير المباشر في الكثير من القضايا الإقليمية خاصة تلك المتعلقة بالصراع مع إسرائيل وسياسات امريكا والغرب في المنطقة، حيث أصبح لإيران نفوذا سياسيا قويا في لبنان ومن مؤشرات ذلك، قوة علاقاتها مع المعارضين للسياسة الإيرانية والتدخل الإيراني في الشأن اللبناني وبخاصة "تيار المستقبل " الذي يمثل السنة في لبنان، وقد جاءت زيارة الرئيس الإيراني السابق، أحمدي نجاد عام 2010 تحمل دلالات عدة للنفوذ الإيراني في لبنان، ثم تلتها زيارة للسيد سعد الحريري إلى إيران فكانت بمثابة اعترف "ضمني"بالدور الإيراني الفاعل في لبنان كما عملت إيران على تقوية علاقاتها مع رموز المعارضة السياسية أمثال نبيه بري . إلا أنّ هذا التدخل الإيراني لاقى معارضة شديدة من بعد الأوساط السياسية اللبنانية مما أنتج العديد من الأزمات السياسية، حيث استقالت حكومة نجيب مقلاتي الأخيرة شهر مارس 2013 بسبب التدخل الإيراني ودعمه لحزب الله.

كما وفّر حزب الله "اختراقاً جيوبوليتكيا " مهماً نحو فلسطين المحتلة من خلال تسهيل عمليات التواصل بين قوات الحرس الثوري الإيراني المتواجدين جنوب لبنان وحركات المقاومة الإسلامية مثل "حماس" والجهاد الإسلامي .

ويهدف الدعم الكبير متعدد الأشكال الذي يتلقاه حزب الله من إيران إلي تسويق ونشر النموذج الإيراني بوسائل ناعمة مرتكزا في ذلك على الشبكة الاجتماعية والثقافية والإنسانية التي أسسها حزب الله، وبخاصة الوسائل

التكنولوجية والاتصالية كالقنوات الفضائية ومن ضمنها " قناة المنار" التي تبنت مشروع إيران عبر حزب الله بالوكالة، وتشير طرق استخدام الصور والرموز كلّها إلى رموز الإمام الخميني والثورة الإيرانية التي تعتبر إلهامًا للقاعدة الإعلامية لحزب الله، (Lamloum,2009,353- 354). فالحزب قام بتصدير مفاهيم الثورة الإيرانية بكافّة مضامينها الدينية والاجتماعية إلى البيئة اللبنانية والبيئة الإقليمية، والترويج لنموذج الدولة الإسلامية الناجحة .

على صعيدٍ آخر، استفاد حزب الله من الدعم العسكري متعدد الأوجه في إطار تحالفه الاستراتيجي مع إيران، لأنّه اتخذ من خيار المقاومة هدفا "استراتيجيا "ضد إسرائيل والقوى الغربية الكبرى خاصة الولايات المتحدة الأمريكية لنصرة المستضعفين – حسب الحزب- وتشير الكثير من التقارير إلى أنّ قوات الحرس الثوري الإيراني تدرب عناصر من حزب الله كما أن الحزب يرسل العديد من أفرداه إلى إيران لاكتساب الخبرة والتدريب، وتنقل إيران العديد من الأسلحة والصواريخ لحزب الله في مواجهة إسرائيل، (Cordesman,2006,2- 3)، واستمر هذا الدعم النوعي حيث أصبح أكثر تركيزاً على نقل تكنولوجية جديدة وأسلحة متطورة، ويأتي المثال الأكبر على ذلك هو وجود شبكة اتصالات بديلة تابعة لحزب الله اللبناني خارجة عن سيطرة الحكومة اللبنانية، (عبد الحي، 2014، 203).

وتتم العلاقة العميقة/ الإستراتجية بين إيران وحزب الله اللبناني عبر فيلق القدس الإيراني وهو وحدة خاصة مدربة تدريبات جيدة وتتبع الحرس الثوري الإيراني ولها توسعاتها وأنشطتها في الخارج، وترى بعض المصادر أنّ هذه الوحدة هي المسئولة عن تدريب عناصر حزب الله اللبناني(Zisser,2011,9- 10). وهنا تأتي أهمية العامل المذهبي في سياسة إيران وأهمية حزب الله في لبنان، حيث أصبح حزب الله لاعباً أساسيا في السياسة الدولية وفي المركب الأمني الإقليمي للشرق الأوسط.

وإنَّ هذا الارتباط العميق بين حزب الله وإيران يشكل "جماعة أمنية غير تماثلية" تتبنى مقاربة توافقية ضد التهديدات الأمنية الجديدة، ولعل الانخراط

التدريجي لحزب الله في الأزمة السورية ابتداء من سنة 2012، بموافقة إيرانية جاء ليعزز من جيوبولتيك المشروع الإقليمي الإيراني هذا من جهة، واعتبر أنَّ ما يحدث في سوريا بأنَّه تهديد يستهدف وجوده وأنّ أمنّه من أمن سوريا (مركب أمني فرعي في الشام)، مما دفعه للانخراط من أجل صياغة خطة للمرحلة المقبلة، (قصير، 2011، 22).

وتنطلق تصورات محور" إيران - سوريا - حزب الله اللبناني" من معادلة بالغة الأهمية، ذلك أنّ كل طرف يمثل أمن الطرف الآخر في علاقة تكاملية /براغماتية، أي أنّ الاعتماد الأمني المتبادل هو السبيل الوحيد والكفيل لحماية محور المقاومة من التفكك أو الاختراق. لذلك كل طرف في "محور المقاومة" يتقاسم مجهوده العسكري والأمني وحتى الدبلوماسية مع الطرف الأخر، من أجل تكريس اتجاه سياسي تضامني واحد في إطار إستراتيجية " الأمن المشترك".

ومن ثمة، فقد تبنى حزب الله مقاربة ترتكز على دعم ومساندة النظام السوري بكل الوسائل الممكنة باعتبار أنّ الامتداد الجيوسياسي يوفر لحزب الله عمقا استراتيجيا وطريق إمداد رئيسي للأسلحة الموجهة إليه من إيران، نتيجة للترابط الجيوبوليتكي، والذي فرض على حزب الله التعاطي مع الملف السوري على أنّه " تحدياً أمنياً إستراتيجياً "، وأنّه يمثل " مسألة بقاء واستمرار" للحزب والمقاومة ككل، وفي هذا الشأن، أعلن السيد حسن نصر الله بقوله: " إنّ سورية ظهر المقاومة وسندها، والمقاومة لا تستطيع أن تقف مكتوفة الأيدي ويُكشف ظهرها ويُكسر سندها وإلاّ سنكون أغبياء".

ومع اتساع دائرة الاحتجاجات في الجغرافية السورية وعسكرة الحراك الشعبي، بدأ خطاب حزب الله يتغير خاصة في منتصف عام 2012، بعدما كان يعتمد على سياسية "النأي بالنفس" وتحييد لبنان عن تداعيات الصراع في سوريا، وانتقل حزب الله من إستراتيجية "الدفاع الإعلامي" إلى إستراتجية "الدفاع الجيو عسكري "عن النظام السوري، فعدَّل من شكل تغطيته الإعلامية للأخبار السورية بحيث بدأ يُمهد للحديث عن حرب تُشن على محور المقاومة بأسره. ومع مطلع العام 2013 أعلن الحزب رسميا أنّه يقاتل في سوريا

حماية لأمنه وبقائه ومنع التحالف الاستراتيجي مع سوريا من السقوط أو التفكك، حتى لا ينكشف ظهر المقاومة وتفقد الارتباط الجيوبوليتكي مع سوريا وإيران.

2. المرتكز الجيواستراتجي:

إنّ الثقل الجيواستراتيجي لحزب الله اللبناني يتحدد من قوته الناعمة كحركة معقدة ومركبة (سياسية- دينية- شبه عسكرية- اجتماعية)، وهذا ما ساعده في العمل على نشر النموذج / الأيدلوجية الإيرانية من جهة، وجلب استقطابا شعبيا كبير في أوساط المجتمعات العربية والإسلامية من جهة أخرى، حيث مثل العدوان الإسرائيلي على لبنان (حزب الله) صيف 2006 اصطفافا جماهيريا لبنانيا وعربيا وإسلاميا وراء مشروعية المقاومة والجهاد ضد إسرائيل، حتى أنّ السلطة اللبنانية أخذت تتعاطى مع المقاومة "كخياراً استراتيجياً" وأداة دفاعية في مواجهة التهديدات العسكرية والأمنية الإسرائيلية، ولعل هذا ما زاد في أسهم الحزب. لأنّه ساهم في الترويج للخطاب والمشروع القومي الإيراني، حيث تشكلت خلايا تابعة للحزب في منطقة الشرق الأوسط تتبني المرجعية الإيرانية في كل من الكويت والبحرين والعراق والسعودية. وفي هذا السياق عبر **السيد إبراهيم الأمين** (قيادي في حزب الله) بقوله: " تصدير الثورة لا يعني فرض النظام الإيراني على شعوب الشرق الأوسط، بل هو يعني تجديد الحياة الإسلامية وجعل الإسلام هو صاحب الحضور الأكبر في حياتنا "، (صباح الموسوي وآخرون، 219).

واستطرادا على ذلك، تنطلق إيران من فلسفة تقوم على أساس أنّ الدولة في خدمة المذهب أينما وجد، أي أنّها وصية على كل الشيعة الموجودين في العالم سواء في إيران أو حتى خارجها، فهي إذاً لا تعترف بالجغرافيا السياسية، (شهاب، 2006، 43)، ومن هذه الزاوية تمكنت إيران بفضل توظيف حزب الله من تحقيق اختراق جيوسياسي هام في البيئة الإقليمية العربية، إذ تعتبر حرب العام 2006 نقطة محورية في مسار حزب الله حيث أكسبته تعاطفا شعبيا عربيا وإسلاميا والعديد من الأنظمة العربية، وهذا ما ساهم في تهيئة

البيئـة الاجتماعيـة المحليـة والإقليميـة لتسـويق المشـروع الإقليمـي الإيرانـي، دون التدخل المباشر والعلني في الشؤون الداخلية للدول الشرق الأوسط، بل أنّ أولوية الحزب واهتماماته السياسية والأمنية كانت تُسوق في إطار واحد هو مواجهة التهديد الإسرائيلي وحليفتها الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا ما جعل الحزب يحظى بقبول رأي العام محليا وإقليميا، لأنّ هدفه الجيو- استراتجي منصباً على تحرير المنطقة من المشاريع الأمريكية- الإسرائيلية، التي تهدف إلى تفكيك شعوب الشرق الأوسط والتي تثير القلائل وتؤجج الصراعات الطائفية والمذهبية في المنطقة.

غير أنّ التطورات الجيوسياسية والجيو- أمنية التي حدثت في منطقة الشرق الأوسط بداية من عام 2011 أخلطت كل حسابات حزب الله ومن ورائه الإستراتيجية الإيرانية، خاصة تداعيات الأزمة السورية منذ بداية 2011 والتي قوضت إلى حدٍ ما نجاحات حزب الله التي حققها في العقود السابقة بسبب مساندته للنظام السوري، حيث اعتبر حزب الله أنّ متطلبات الأمن والاستقرار تنطلق من سوريا، وفي هذا الصدد، يشير مسئول العلاقات العربية في حزب الله حسن عز الدين " إن المقاومة باتت ملزمة بالدفاع عن نفسها وعن ظهيرها الاستراتيجي السوري، (عبد الحي، 2003- 2013، 206).

وقد أدت إستراتجية حزب الله في سوريا إلى حدوث مؤشرات سلبية على وضع الحزب في الداخل اللبناني ولدى شرائح واسعة من اللبنانيين بما فيها ذلك الطائفة الشيعية، وبروز مؤشرات توحي بوجود انشقاق جيوسياسي هام على مستوى الرأي العام العربي والإسلامي المساند للحزب، والذي أثر بدوره على القوة الناعمة للمشروع الإقليمي الإيراني التي تعتمد فيه على القبول والإقناع، (عبد الحي، 207).

3ـ المرتكز الجيو- أمني:

لقد شكلت "المقاومة" كمقاربة شاملة إحدى الأطر المركزية في عقيدة وتوجهات حزب الله، إذ استدعت هذه المقاربة العمل على تفعيل مشروع المقاومة كسياسية" أمنية دفاعية " فعالة، لها تداعيات على البيئة الأمنية في المركب

الأمني الفرعي للشرق الأوسط، وتتنوع الانعكاسات الإقليمية لانجازات المقاومة من خلال إضعاف واحتواء وردع المشروع الأمريكي- الإسرائيلي ومحاولة تحطيم حدود سايكس- بيكو، والدفع بمحور المقاومة صعوداً من خلال إحياء روح الثورة والأمل في شعوب المنطقة، ومنه، فحزب الله اللبناني كنموذج غير دولاتي فريد من نوعه يمثل امتداداً للنفوذ الإيراني لأسلوب الإسلاموية الإيرانية في منطقة الشرق الأوسط .

كما أنّ إيران استمرت بدعم تنافس حزب الله مع الدولة اللبنانية في المجال الأمني، وذلك من خلال إمداد الحزب بالمساعدات المادية والسلاح، قصد مقاومة الاحتلال الإسرائيلي من أجل تأكيد تنافسه مع الدولة في هذا المجال. وهذا يعني أنَّ إيران دعمت القدرة التنافسية للحزب مع الدولة في أحد مجالات وظائفها الأساسية، وهو" الأمن".

والمقاومة، عند حزب الله هي بنية معرفية- قيمية، لا ترتكز على البعد العسكري أو الاقتصادي فحسب بل تتعداه إلى البعد الحضاري أو ما يسميه الأمة الإسلامية، وذلك سعياً من الحزب لنصرة المستضعفين والتصدي للاستكبار الغربي وهذا ما تحقق فعلا أثناء حرب العام 2006 مع إسرائيل عندما استطاع حزب الله أن يصمد في مقاومة القوة العسكرية الإسرائيلية، بل وذهب بعض المحللين من الإسرائيليين أنفسهم بأنّ حزب الله استطاع يحقق حالة من الردع مع إسرائيل ويغير في معنى القوة والحروب المحدودة.

فالحزب اعتبر حربه ضد إسرائيل هي "حرب مقدسة "، وهي نصرة للمستضعفين والمسلمين، وهو خطاب براغماتي ما فتئت إيران تُسَوِقُه للشعوب المنطقة، وبالنتيجة، فإنّ حزب الله يعتبر من أهّم الفاعلين العنيفين من غير الدول المدافعين عن المشروع الإيراني في المنطقة.

على مستوى آخر من التحليل فقد اعتبر حزب الله أنّ المشروع النووي الإيراني ورقة ضغط مهمة وعامل ردع استراتجي، لأنّه يُمكن أن يحدث توازنا استراتيجيا في البيئة الأمنية في منطقة الشرق الأوسط، ويغير من قواعد اللعبة السياسية، فبعد المفاوضات الشاقة والمعقدة بين إيران والدول الغربية(5+1) تم

التوصل إلى الاتفاق حول المشروع النووي الإيراني في 14 جويلية 2015، الأمر الذي اعتبره حزب الله انتصارا "تاريخيا واستراتيجيا " لإيران وحلفائها في المنطقة، لأنّه انتصار "لمشروع المقاومة" الذي تقوده إيران، وهو ما شكل دفعة سياسية ومعنوية لحزب الله، كما أنّه أخرج إيران من عزلتها الدولية والإقليمية ومنحها فوائد مالىة وعسكرىة وجىو - سىاسىة واسعة، والتي سوف توظف في خدمة حلفائها سياسياً وأمنياً ومالياً وحتى عسكريا، كما حرمت الولاىات المتحدة بالمقابل من وسائل الضغط التي كانت بحوزتها.

واستطرادا، فقد اعتبر الجنرال الأمىركي المتقاعد "**شارلزوالد**"، (الرئىس المساعد لبرنامج إىران في مركز ''جومندر'' للأبحاث الأمنية التابع لمؤسسة شؤون الأمن القومي الىهودىة J.N.S: " أنّ الفترة التي تلت الاتفاق النووي مع إىران عرفت تحول حزب الله اللبناني والحرس الثوري إلى قوى قادرة على تغيير مسار الصراعات في منطقة الشرق الأوسط، مؤكدا على ضرورة تعزيز التحالفات للتصدي لإيران والحزب، وبذلك يبقى حزب الله أهم فاعل جيو- استراتيجي في اللعبة السياسية والإستراتجية الأمنية لإيران في المركب الأمني لمنطقة الشرق الأوسط.

وبالنتيجة، فإنّ حزب الله من خلال سياسته البراغماتية اعتبر الاتفاق النووي " تقويضا " لمشروع الهيمنة الأمريكي – الإسرائيلي على منطقة، والذي أعطى دفعة قوية لمحور المقاومة لزيادة نشاطاتها العسكرية والأمنية في الشرق الأوسط من خلال رفع التجميد عن الأصول المالية الإيرانية التي سوف تستثمر وتوظف من أجل تدعيم نفوذها السياسي والعسكري في الخليج العربي والشرق الأوسط عموما، وهذا ما سينعكس إيجابا على الانتشار الأمني والجيوسياسي لحزب الله .والذي أصبح يملك ثقلاً استراتيجياً في إدارة العمليات السياسية والأمنية، وله القدرة على التأثير في العديد من القضايا الأمنية في منطقة الشرق الأوسط بسبب امتداداته الأمنية الشبكية العابرة للحدود.

ثالثا: انعكاسات الأزمة السورية 2011 على دور حزب الله اللبناني في المشروع الإقليمي الإيراني.

تُعد العلاقة الوثيقة القائمة بين سوريا وحزب الله اللبناني هي علاقة عضوية / براغماتية متعددة الأبعاد استراتيجيا وسياسيا وأمنيا، وتعود جذورها مع بداية تأسيس حزب الله، فسوريا بحكم موقعها الجغرافي والطبيعي تُمثل عمقا استراتيجيًا مهما لحزب الله من أجل بناء استراتيجياته وقدراته الدفاعية المحلية والإقليمية وذلك بغية الاستجابة للتحديات السياسية والأمنية، وتوفير بيئة مناسبة للمشروع الإقليمي الإيراني الذي يعتمد بشكل كبير على مخرجات سلوك حزب الله اللبناني الناعم باعتباره مُكونا أسياسيا في محور إيران- سوريا - حزب الله هذا من جهة، كما يلعب حزب الله دورا محوريا في توفير معبرا جيبوليتكيا لإيران نحو شرق البحر الأبيض المتوسط من جهة أخرى.

فحزب الله اللبناني الذي يقوم بدور استراتجي ضمن أهداف الجيوبوليتيك الإيراني في المنطقة، (نصر الله، 2016)، قد عرف تحديات أمنية كبيرة في المجال الحيوي الذي ينشط فيه بسبب اندلاع الحرب السورية في شهر مارس 2011، والتي أدت إلى اختلالات جيو- سياسية خطيرة في المنطقة، وانكشاف جيو- عسكري لظهر المقاومة في لبنان، اضطر معها حزب الله إلى التدخل في الأزمة السورية مجبراً لا مخيراً - اعتبرها تحديا استراتيجيا- من أجل حماية مصالحه الحيوية ومصالح حليفه الإيراني في سوريا، وعدم الوقوع في عزلة إقليمية في حال سقوط النظام السوري.

والعمل على احتواء التهديدات الأمنية للمعارضة السورية المسلحة والجماعات التكفيرية- حسب تعبير الحزب- (خاصة جبهة النصرة والدولة الإسلامية في العراق والشام)، الذين أصبحوا يهددون المصالح الإستراتيجية الإيرانية وحزب الله في سوريا بشكل مستمر. وحتى في الداخل اللبناني من خلال تبني إستراتجية نقل قواعد الاشتباك إلى مناطق الخصم، حيث تعرضت الكثير من المناطق في الداخل اللبناني التي تقع تحت نفوذ حزب الله إلى تفجيرات وعمليات انتحارية استهدفت بالأساس القوات الأمنية/العسكرية

لحزب الله . وهو ما شكل تحدياً أمنيا للحزب وضغطا سياسيا واجتماعيا من طرف الرأي العام اللبناني الذي ما فتئ يدعوا حزب الله إلى الخروج العسكري من سوريا والنأي بالنفس .

ولقد كانت الأزمة أو/ الحرب السورية التي اندلعت عام 2011 منعرجا حاسما في إستراتجية حزب الله وموقفه من الحراك العربي، حيث عبر **حسن نصر الله** بقوله: " الشرق الأوسط الجديد الذي دمَّرنا طلائعه في حرب يوليو/تموز2006، ودمر إخواننا في غزة طلائعه في حرب2008، لكنه يعود بثياب جديدة وعناوين جديدة، (مركز الجزيرة، 2013).

وساند حزب الله النظام السوري إعلاميا وسياسيا كخطوة أولى، معتبراً أنّ ما تتعرض له سوريا هي"مؤامرة دولية " تهدف إلى كسر حلف الممانعة ومحاصرة المقاومة، وبذلك فقد انخرط الحزب في العمليات العسكرية واللوجيستية في سوريا رسميا ابتداء من العام 2013 وفق ما أعلنه السيد حسن نصر الله - بالرغم من أنّ حزب الله كان يقاتل قبل هذا التاريخ- من أجل تحقيق أهداف إستراتجية وأخرى تكتيكية، كإبقاء أحد طرق إمداداته الرئيسية مفتوحا وآمنا من إيران عبر الأراضي السورية هذا من جهة، ولأنّ سوريا تعتبر مرتكز أساسي في محور المقاومة وتؤمن عمق استراتيجي لها وطريق إمداد وداعم سياسي في المنطقة من جهة أخرى.

وقد أدى تدخل حزب الله العسكري إلى جانب النظام السوري إلى زيادة ضغوطا قوية داخلية وإقليمية، بداية، فقد تأثرت صورة حزب الله وتراجع نفوذه الرسمي والشعبي بشكل ملحوظ وزادت حالة التوترات السنية- الشيعية في منطقة الشرق الأوسط، وبدا ذلك واضحًا من خلال القرارات التي اتخذتها بعض المنظمات العربية على غرار جامعة الدول العربية ومجلس التعاون الخليجي بتصنيف الحزب على أنّه منظمة إرهابية (ليس كل الدول العربية صنفت حزب الله كمنظمة إرهابية)، متهمة الحزب بتدخله في الشئون الداخلية لدول المنطقة وداعما للمشروع الإيراني وتهديده لأمن ومصالح هذه الدول، كما تم اتهامه بالحث على العنف وتهريب الأسلحة وتجنيد الإرهابيين وإثارة النعرات الطائفية

وتأسيس جماعات إرهابية وغيرها، (مركز الروابط، 2016)، علاوة على ذلك، فقد توجهت الكثير من الدول العربية خاصة الخليجية منها إلى اعتبار أنّ حزب الله اللبناني "منظمة إرهابية ".

كما أدى انخراط حزب الله العسكري والأمني في الحرب السورية تأثيرات بنيوية كبيرة سواء على كان ذلك على المستوى السياسي أو الأمني، من خلال زيادة استهداف حزب الله في لبنان عسكريا عن طريق العمليات الانتحارية والتفجيرات، فقد أصبح حزب الله هدفاً للجماعات الجهادية العاملة في لبنان وعلى الحدود السورية- اللبنانية في منطقة البقاع، حيث توغلت إلى قلب المنطقة الأمنية التي يتمتع حزب الله بنفوذ كبير فيها كجنوب بيروت والضاحية الجنوبية للبنان.

أمّا من الناحية المالية، فقد تعرض حزب الله اللبناني إلى حصاراً ماليا من طرف المجتمع الدولي، لا سيما تلك التي استهدفت شبكاته المالية من قبل وزارة الخزينة الأميركية، (مركز الروابط، 2017)، كما عملت بعض الأطراف الإقليمية والدولية على تشديد العقوبات لمصادر تمويل حزب الله وإمداداته المالية عن طريق تجميد الأصول والحسابات المالية والمصرفية التابعة لحزب الله. ففي3 ماي 2016 أصدر مصرف لبنان (المصرف المركزي اللبناني) تعميماً دعا فيه كافة المصارف إلى إغلاق حسابات تعود إلى أفراد ومؤسسات مرتبطة بـحزب الله، وقد صدر هذا التعميم بعد تشريع جديد أصدرته الولايات المتحدة عُرف باسم "قانون مكافحة تمويل حزب الله دولياً"، (Ghaddar,2016)، وذلك من أجل زيادة الضغط على الحزب للانسحاب من سوريا وتوقيف العمليات القتالية والمجهود الحربي، الأمر الذي سوف يؤدي إلى تجفيف مصادر تمويله والذي يُعد حجر الزاوية في استمرار نشاطات الحزب متعددة الأبعاد والجوانب في المنطقة وخارجها، لأنّ حزب الله يمثل الذراع الأقوى لإيران في الصراع السوري.

كما تبنت القوي الإقليمية والدولية مقاربة شاملة ضد التمدد الجيوسياسي لحزب الله في سوريا كأحد أهم التحديات اللاتماثلية في منطقة الشرق

الأوسط، واتخذت مجموعة من الأشكال لمواجهة الاختراق الجيوبوليتيكي لحزب الله للمنطقة، انطلاقا من العامل الأمني- ألاستخباراتي لاحتواء السياسات الإقليمية لحزب الله، أين قامت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها في منطقة (خاصة الخليجيين منهم)، بتصنيف الحزب "كمنظمة إرهابية"، فقامت بمراقبة مصادر تمويله والتي تعتبر عاملاً أساسيا في نشاطاته الإقليمية، كما تبنت الكثير من القنوات الفضائية والإعلامية أيدلوجية مضادة لمحور إيران - حزب الله من خلال تكريس فكرة أنّ الصراع في سوريا هو صراع طائفي- مذهبي بين الشيعة والسنة وليس لاعتبارات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية،

خاتمة

وفي ختام هذه الدراسة نستنتج أنَّ دور حزب الله اللبناني مُهمّ جداً في التوجهات الإستراتجية الإيرانية من أجل تجسيد مشروعها الإقليمي في المنطقة، ومن خلال الوقوف على ولائه الإيديولوجي والعقائدي لإيران، يتضح جليا أنّ منطلقات حزب الله السياسية والأمنية والاجتماعية مبنية على فكرة الانتشار الناعم معتمدا في ذلك على خطاب سياسي وأمني يناهض من خلاله القوى الغربية المعادية لقيم الدول العربية الإسلامية في الشرق الأوسط، ولقد اكتسب الحزب نقاط قوة كثيرة بعد حرب 2006، والتي جعلت منه فاعلاً في غاية القوة حيث استطاع أن يوازن الرعب نسبيا مع إسرائيل. كما استطاع حزب الله اللبناني أن يقوم كعنصر دعم للتمدد الإيراني في المنطقة وفق مبدأ الحدود الشفافة، وذلك من خلال تكريس مبدأ "المقاومة والجهاد " للمشاريع الغربية التي تؤثر على استقرار وتوازن المنطقة .

كما يتشكل لنا إدراك واضح بأنّ حزب الله يعد عاملاً من مُعامِلات القوة ومرتكزاً استراتيجيًا لإيران وذراعها القوي في المركب الأمني في الشرق الأوسط، باعتباره يحتل مكانة مركزية في الحسابات الإستراتجية الإيرانية، ومن أهمّ الخيارات الإستراتيجية للسياسة الخارجية الإيرانية، وذلك بنفوذه

الناعم وتأثيره الشديد في المسائل السياسية والأمنية في منطقة إقليم الشرق الأوسط.

غير أنّ مخرجات الحراك العربي بعد 2011 وبخاصة الأزمة أو/ الحرب السورية وتأثيراتها الجيوسياسية والأمنية على محور المقاومة والمصالح الإيرانية، دفعت الحزب إلى تقديم دعم متعدد الأوجه والأشكال إلى النظام السوري من أجل حماية العمق الاستراتجي لمحور المقاومة، هذا ما أدى إلى بروز العديد من التحديات السياسية والأمنية لدور حزب الله الإقليمي في دعم المجهود السياسي والأمني لتوجهات إيران الإقليمية. الأمر الذي ضاعف من الضغوط على حزب الله على جميع المستويات (المحلية والإقليمية والدولية)، مما أدى إلى تراجع نسبي في نفوذ حزب الله وفقده جزءاً هاماً من المزايا التي اكتسبها قبل الحراك العربي سنة 2011، والتي كانت في كثير من الأحيان تعبر عن نجاح المشروع الإيراني في منطقة الشرق الأوسط.

قائمة المراجع

- أحمد، حمىد شهاب، (206): الإشكالىات المثارة حول المشروع النووي الإىراني والدور الإيراني في المشروع النووي الإىراني: الأبعاد الإستراتىجىة والانعكاسات الإقلىمىة، القاهرة: المركز الدولي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية، مصر.
- بلقيز، عبد الإله، (2000): المقاومة وتحرير الجنوب: حزب الله من الحوزة العلمية إلى الجبهة، ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان.
- باكير، علي حسين، (2006): حزب الله والمشروع الإقليمي الإيراني: العلاقة والدور، عمان، الأردن.
- جلال عواد، منى، (2014): الحركات الإسلامية وأثرها في الاستقرار السياسي في لبنان (نموذج حزب الله)، التراث العلمي العربي.جامعة بغداد، العراق.
- البراك، محمد، ماذا تعرف عن حزب الله اللبناني، موقع الدرر السنية، 2013، تم تصفح الموقع يوم: 2016/05/11 http: //www.dorar.net/enc/firq/1902
- جرادات، مهدي أنيس، (2010): الأحزاب والحركات السياسية في الوطن العربي، ط1، عمان: دار أسامة، الأردن.
- حشيشو، نهاد، (1998): الأحزاب في لبنان، ط1، بيروت.مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، لبنان.

- طارق، ضياء، حزب الله: النشأة والتعثر، تم تصفح الموقع يوم: 2017/03/01 http: / //ida2at.com/hezbollah- origination- and- tripping
- عبد الحي، سماح عبد الصبور، (2014): القوة الذكية في السياسة الخارجية: دراسة في أدوات السياسة الخارجية الإيرانية اتجاه لبنان2005- 2013، ط.1، القاهرة: دار البشير للثقافة والعلوم، مصر.
- عبد العاطي، محمد، حزب الله: النشأة والتطور، تم تصفح الموقع يوم: 2016/03/25 http: //www.aljazeera.net/specialfiles/pages/25305D60- 53CC- 4CC4- AAE0-64EB71384AE3
- عماد، عبد الغني، (2000): الحركات الإسلامية في لبنان، ط1، بيروت: دار الطليعة، لبنان.
- قصير، قاسم، (2011): في ظل التطورات الخارجية والمتغيرات الداخلية: خطة حزب الله للمرحلة القادمة، مجلة الأمان، لبنان.
- قاسم، نعيم، حزب الله، (2010): المنهج، التجربة، المستقبل، ط7. بيروت: دار المحجة البيضاء، لبنان.
- المدني، توفيق، (1999): أمل وحزب الله في حلبة المجابهات المحلية والإقليمية، ط1، دار الأهالي، دمشق. - الموسوي، صادق عباس، (2012): الحركات الإسلامية بين خيار الأمة ومفهوم المواطنة، ط1. بيروت: مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان.
- الموسوي، صباح وآخرون، (2014): المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية، ط2، عمان: دار عمار للتوزيع والنشر، الأردن.
- مالك، أنور وآخرون، (2015): الثورة السورية محرقة حزب الله، ط2، عمان، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن.
- نصر الله، حسن، (دت): حزب الله المقاومة والتحرير، ج1، بيروت: المركز العربي للمعلومات، لبنان.
- Alagha, Joseph,(2011): Hezbollah’s Identity Construction, Amsterdam, Amsterdam University Press.
- Alagha ,Joseph, (2010),Wilayt Al- Faqih and Hezbollah relation with Iran , journal of Arabic and Islamic Studies , Vol.10, UK.
- Cordesman ,H .Antony,(July 2006): Iran’s support of Hezbollah in Lebanon , Center for Strategic and international studies(CSIS) , Washington,USA.
- Elhusseni, Rola,(2010): Hezbollah and the Axis of Refusal: Hamas ,Iran and Syria ,Third World Quarterly,vol.31, No .5, UK.

- Hanin Ghaddar, Economic Alternatives Could Help Split Shiites From Hezbollah, October 18, 2016.

http: //www.washingtoninstitute.org/policy- analysis/view/economic- alternatives- could- help- split- shiites- from- hezbollah

- Lamloum, Olfa, (March 2009): Hezbollah's Media ; Political history in outline , Global Media and Communication, Vol,5,No.3, UK
- Nizameddin ,Talal, (July2008): Squaring the Middle East Triangle in Lebanon; Russia and Iran –Syria – Hezbollah Nexus, The Slavonic and east Europe preview,vol .86,No.3,UK.
- Richard , Norton Augustus, (2007): Hezbollah: A Short History Princeton: Princeton University Press, UK.
- Richard Norton ,Augustus,(1985): Changing Actors and Leadership among the Shiites of Lebanon,Annals of the American Academy of Political and Social Science, USA.
- Shalabi, Samir,(2015:) Hezbollah: Ideology, Practice, and the Arab Revolts; Between popular legitimacy and strategic interests,Lund University, USA.
- William ,Samii Abbas,(Summer 2006): Shiites in Lebanon; The Key To Democracy , Middle East Policy , Vol .13,No.2,Wiley Blackwell,USA.
- Zisser, Eyal, (May 2011): Iranian Involvement in Lebanon , Military and Strategic Affairs, The Institute for National Security Studies (INSS) ,Vol,3,No,1, Tel Aviv. Israel.
- كلمة حسن نصر الله(جويلية2011)، في الذكرى 33 لرحيل الخميني .

https://www.youtube.com/watch?v=I88IxyQ- 6GA

- مركز الجزيرة للدراسات، حزب الله: الحسابات التكتيكية والأثمان الإستراتيجية"، تقدير موقف، جويلية 2013

http://studies.aljazeera.net/ar/positionestimate/2013/06/201363173251642990.html

- مركز الروابط للدراسات الإستراتيجية والسياسية، استنزاف مستمر: مستقبل دور حزب الله في الصراع السوري، 4 جوان 2016

http://rawabetcenter.com/archives/27636

- مركز الروابط للدراسات الإستراتيجية والسياسية، ضغوط دولية لنزع سلاح ميليشيا حزب الله 20ماي2017

http: //rawabetcenter.com/archives/46350